شريعة قتل الأخوان وأثرها في نظام الحكم آل عثمان (١٥٢٠-١٦١٧)

م. د. بشرى ناصر هاشم الساعدي
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب –قسم التاريخ

المقدمة

واجهت الدولة العثمانية، طيلة فترة حكمها التي دامت ستة قرون (١٢٩٩–١٩٢٢) ، مشاكل عديدة ، كان لها أثرها الواضح في نظام حكمها. إذ كان عليها وهي في بداية عهدها ترسيخ قوتها، وتثبيت نفوذها، ان تواجه الاخطار الخارجية المحيطة بكيان دولتها الفتية . غير انها وجدت نفسها في خضم مشاكل داخلية خطيرة تمثلت بالفتن ، والتنافس ما بين أبناء وأخوة السلاطين طمعاً في عرش السلطنة ، فكان ذلك الأمر مدعاة لأضعاف نفوذ سلاطينها في الداخل ، وابتعادهم عن هدفهم الأسمى في التوسع والضم خارج حدود السلطنة.

وقد تعرض الكثير من أخوة وابناء السلاطين إلى القتل أو الاستبعاد في قصور الجواري، كي ينفرد السلطان الجديد بالحكم . بل ان الأمر ازداد خطورة، مع ازدياد التناحر والصراع حول عرش السلطنة، الذي دفع ببعضهم إلى الدخول في أتفاقيات مع أعدائهم في الامارات المجاورة لهم، أو مع الدول الأجنبية المحيطة بهم، لأجل الحصول على الدعم والمساندة للإطاحة ببعضهم البعض.

واذا كان هذا حال السلطنة في الداخل ، التي سيصبح أحد المتنافسين على عرشها ... فإلى أي مدى كان انعكاس ذلك الصراع في نظام حكمها . هذا ما سنحاول تتبعه في ثنايا بحثنا المتواضع.

أسباب إصدار التشريع (١٢٩٩–١٥٢٠)

تكاد تكون مسألة قتل الأخوة في تاريخ الأسر الحاكمة القديمة، عادة شبة متأصلة، التي لم يكن يتورع حكامها عن قتل أي شخص يرون في بقائه على قيد الحياة خطراً على عروشهم ، حتى لو كان ذلك الشخص أقرب المقربين لهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر، في الإمبراطورية الساسانية قام كسرى أنو شروان (٥٣١–٥٧٩) بقتل والده قباذ (٤٩٩–٥٣١) بمساعدة بعض رجال دولته ، كما قتل أخوته، وأبناءهم وعدداً كبيراً من افراد أسرته ليتولى عرشها من دون ان يكون له منافسون [١]. واستمر الحال هكذا ، حتى ان المؤرخ الألماني هامر ينقل عن أحد المؤرخين البيزنطيين من ان تولى العرش الفارسي على أجساد الأباء

والاخوة كان يعد نوعا من الشرف [٢]. بل ان المؤرخ برنارد لويس يذكر آنَ طريقة قتل الاخوة كانت موجودة ايضاً في الإمبراطورية البيزنطية ، حتى انها اصبحت قاعدة مقررة في نظام حكمهم [٣].

ومما تقدم يتبين لنا ان المتصفح في التاريخ، يجد ان الكثير من الملوك ، والحكام قد ارتكبوا هذا الأثم الجسيم ، ولم تكن حالة انفرد بها العثمانيون الذين ابتداء عهد دولتهم بصراع ما بين عثمان ابن ارطغرل (١٢٩٩-١٣٢٦)، وعمه، انتهى بقتل الأخير ، ليصبح عثمان على رأس ملك الدولة دون منازع[٤].

اهتم سلاطين بني عثمان ، ابتداءً من عهد عثمان ابن ارطغرل حتى عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) بتنظيم أمور دولتهم الداخلية، إلى جانب اعمالهم العسكرية في الفتح والضم، فمن الصعوبة ان نجد في مرحلة نشأة الدولة العثمانية أي فصل ما بين السلطتين الادارية والعسكرية، واللتين كانا يسيطر عليها السلطان العثماني [٥].

وكان من عادة سلاطين تلك الحقبة التي يطلق عليها المؤرخون والباحثون (عهد السلاطين الاقوياء) أن يعينوا أبنائهم واخوانهم حكاماً على الولايات التي اصبحت تحت نفوذ دولتهم، كي يكتسب هؤلاء الخبرة والمران في الأمور العسكرية والادارية، حتى اذا ما اعتلى أحدهم عرش السلطنة عرف كيف يسير بالدولة في طريق القوة والتوسع [٦].

تمتع عثمان ابن أرطغرل، ببعد النظر في تقسيم مدى قدرة وقابلية أبنائه في ادارة امور الحرب والادارة، لذلك نجده يْوصِ بعرش السلطنة لثاني ابنائه وهو أورخان (١٣٢٦-١٣٦٠) لاتصافه بالشجاعة والإقدام، وعلو الهمة ، ولم يوصي بها لأكبر ابنائه علاء الدين الذين كان رجل سلام ، واعتزل العالم وهو في ميعة الصبا، ولم يشترك بأي عمل عسكري [٧].

وكان العثمانيون قد رفضوا ومنذ قيام دولتهم مبدأ تقسيم الدولة، لانها ليست ملكاً للسلطان وعائلته لتورث أو تقسم [٨]. لذلك نجد ان علاء الدين ابن عثمان لم يعارض هذه الوصية التي حرمته من مُلك عظيم، مقدماً الصالح العام على المصالح الخاصة، مكتفياً بمنصب الوزارة الذي منحه اياه أخوه أورخان، رافضاً أي عرض قدم له بشأن اقتسام اراضي وممتلكات آل عثمان، فاختص علاء الدين بتدبير أمور الدولة الداخلية، وتفرغ أورخان للتوسع والضم لنشر الراية العثمانية في البلاد المجاورة لهم [٩].

غير ان روح العداء والتنافس حول السلطة سرعان ما ظهرت وبشكل حاد، بعد وفاة أورخان عام ١٣٦٠ [١٠] بين ابناء ولده السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩) الذي وصفته

المصادر العثمانية والتركية بالنباهة والجرأة الممزوجتين بنزعة دينية قوية، فضلاً عن مقدرته العسكرية وأرادته القوية، حتى انه كان يلقب بـ (خدا وندكار) أي (الملك) (١١).

قَربَ السلطانُ مرادُ الأول ابنه الاكبر بايزيد ، وخصه بالمحبة والمودة دون أولاده ، الامر الذي دفع بأحد ابنائه وهو صاووجي إلى التمرد عليه عام ١٣٨٣ ، بالاتفاق مع اندروينكوس ابن امبراطور الروم حنا باليوج ، الذي كان موجوداً وقتذاك في البلاط العثماني. وقد تضمن هذا الاتفاق تنحية والديهما عن عرشيهما، والعيش بعد ذلك بسلام وأمان، غير آبهين لِما ستكون عليه نتائج هذا الانشقاق ، الذي سيؤدي بطبيعة الحال إلى استفادة اعداء بلادهم من ذلك التمرد (١٢).

بدأ التمرد حينما استغل صاووجي عبور والده إلى بلاد الروم أيلي،فأعلن استقلاله في بورصه، وأمر ان تقرأ خطبة الجمعة باسمه. وحرصاً على وحدة البلاد، لم تأخذ السلطان مراد الأول الشفقة أو الرأفة على ولده المتمرد، بل ساق عليه جيشاً، أجبر خلالها صاووجي على الفرار نحو مدينة (ديمتوقة)، ومع ازدياد ومحاصرة الجيش له، أضطر إلى الاستسلام لقوات والدة الذي أمر بقتله مع عدد من أنصاره. وهنا لاننسى الدور الفعال الذي بذله الأمير بايزيد لمساعدة والدِهِ بالقضاء على تمرد صاووجي (١٣).

من جانب آخر، طلب السلطان مراد الأول من إمبراطور الروم حنا باليوج بأن يوقع ذات العقوبة على ابنه اندرونيكوس الا ان الامبراطور اكتفى بسمل عيني ولده، وابعده عن البلاد، وبذلك تم القضاء على هذه الفتنة (١٤).

وعلى أثر مقتل السلطان مراد الأول في ساحة القتال (١٥) اختار القادة العسكريين ابنه بايزيد (١٣٨٩–١٤٠٣) سلطاناً للدولة العثمانية ، وتمت مبايعته في (أق سنجاق) (الخيمة البيضاء) في ١٦ حزيران ١٣٨٩ (١٦). فكانت أول أعماله التخلص من أخيه يعقوب خنقاً، مبررا عمله هذا بالحرص على وحدة البلاد، لاسيما أنَ حادثة صاووجي كانت ما تزال ماثلة امامهم. وبعمله هذا بَدَأَ تقليد – وليس تشريع – قتل الاخوة في الدولة العثمانية (١٧) .

لقب السلطان بايزيد الأول بـ(يلدرم) أي (الصاعقة)، وذلك لسرعته في الانتقال من مواقع القتال، ففي عام ١٣٩٢، تمكن من تحقيق الانتصار في أوربا (الصرب، ولاشيا)، وما ان وصلت اليه الأخبار بتمرد الامارات التركمانية(١٨)،حتى تحرك على جناح السرعة عام ١٣٩٣ إلى الاناضول وقضى على ذلك التحالف، ومن ثم تابع حروبه في اوربا على طول الحدود الشمالية والشمالية الغربية حتى وصلت قواته في نفسه العام إلى المانيا وبلغاريا. ثم

عاد إلى الأناضول عام ١٣٩٤ والحق هزيمة أخرى بالحملة الصليبية الجديدة على بلاد آسيا في عام ١٣٩٦ [١٩].

أغار تيمورلنك [٢٠] المغولي بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى (الاناضول) عام ١٤٠٢ ، فسيطر على سيواس بأرمينيا ، وأخذ ابن السلطان المدعو أرطغرل أسيراً وقطع رأسه، ولذلك جمع السلطان بايزيد قواته وسار لمحاربة تيمور لنك فتقابل الجيشان في سهل أنقرة في ٢٠ تموز من نفس العام من قبل شروق الشمس إلى بعد غروبها ، وأظهر السلطان شجاعة كبيرة، غير ان ضعف قواته بسبب فرار فرق أيدين ، ومنتشا، وصاروخان وكرميان، وانضمامها إلى جيوش تيمورلنك، وعدم بقاء قليل من القوات الانكشارية[٢١]، اضطره الى الهرب فأسر هو وابنه موسى، فيما فر أبناؤه سليمان، ومحمد، وعيسى، ولم يعثر على أي أثر لابنه مصطفى [٢٢].

وضع تيمور لنك أسيره السلطان في قفص من حديد حتى مات كمداً وحزناً في ٩ أذار ١٤٠٣ م، وبوفاته تجزأت الدولة العثمانية إلى عدة أمارات صغيرة ومتناحرة، لتتحول هذه الدولة إلى (جسد بلا رأس) ، اذ استعادة الامارات التركية (قسطموني وصاروخان، وكرميان، وأيدين، ومنتشا، وقرمان) بالتعاون مع تيمور لنك، نفوذها السابقة، واستقل البلغار والصرب والولايشيون، ولم يبق تحت راية العثمانيين سوى عدد قليل من المناطق، ومما زاد الطين بَلة، عدم اتفاق ابناء بايزيد على تنصيب احدهم سلطاناً بل ادعى كل منهم أحقيته بالسلطنة [٢٣]. وحارب كل منهم الاخر، مستنجدين بتيمورلنك الذي وجد في ذلك فرصة مناسبة للقضاء على الدولة العثمانية [٢٤].

استبُد الاميُر سليمانُ بمدينة أدرنة، ولأجل ان يستظهر على اخوته عقد حلفاً مع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني (١٣٩١-١٤٢٥) وعده فيها بالتنازل عن سلانيك التي تقع على ساحل بحر أيجة، وبعض المدن في سواحل البحر الاسود [٢٥] ، ولإتمام أواصر هذا الحلف تزوج احدى قريبات الإمبراطور، كما أرسل أخاه الأصغر قاسم إلى القسطنطينية كرهينة لدى الإمبراطور . وعقد اتفاقية مع حاكم الصرب استيفان لازار (١٣٨٩-١٤٢٧) عام ١٤٠٣، ومع البندقية ، وجنوه ، ورودس [٢٦].

من جانب أخر ، التجأ عيسى بمن معه من الجند إلى بورصة، وبدأ يدعو لنفسه فيها، في حين فر محمد – السلطان محمد جلبي فيما بعد – إلى جبال الأناضول بعد معركة أنقره، وبدأ من هنالك يحارب قوات تيمورلنك، وخلًص منه توقات واماسية (في الأناضول الوسطى) ، ودعا لنفسه بهما [٢٧].

هاجم محمد أخاه عيسى وهزمه في عدة مواقع ، التجأ على أثرها إلى القسطنطينية . ثم لم يلبث سليمان ان هاجم أخاه محمد وطرده من بورصة عام ١٤٠٤ ثم من انقرة عام ١٤٠٥، وهنا حاول محمد ان يصفي مشاكله فمع الامارات التركية في الأناضول فَخَلص أخاه موسى في اسر امير كرميان، حتى يتفرغ بعد ذلك لقتال أخيه سليمان الذي قتله موسى خارج اسوار أدرنة[٢٨].

غير أن موسى هذا ، تمرد على اخيه محمد واستقل بحكم الروملي [٢٩] واستعان بالصربيين، وحاصر القسطنطينية، كي يتسنى له بعد ذلك ان يصبح سلطانا من آل عثمان [٣٠]. فاستنجد الإمبراطور البيزنطي بمحمد جلبي ، الذي أسرع لمحاربة اخيه حتى رفع الحصار عنها، وتحالف مع العرب ضد أخيه ، فقاتله عام ١٤١٠ من دون نتيجة، حتى صفى مشاكله في الأناضول ، واستجمع قواه، ليلتقي بأخيه موسى في معركة عند سهل جامولي قرب صوفيا [عاصمة بلغاريا حالياً] عام ١٤١٣ ، فأنتصر عليه وقتله خنقاً في معسكره [٣١].

وهكذا ، سرعان ما أفاقت الدولة العثمانية من اثار هزيمة أنقرة، فعلى الرغم من صغر سن محمد الأول أصغر ابناء بايزيد سنا، فأنه تغلب على أخوته، وأصبح في عام ١٤١٣ السلطان الوحيد لدولة موحدة [٣٢]. اذ أقُر معظم الأمراء الصغار في الأناضول والروملي بسيادة محمد جلبي [٣٣] (١٤١٣-١٤٢١) عليهم بعد مقاومة قصيرة، أظهر فيها الكثير من الحكمة والحزم [٣٤]. فقد تمكن من الانتصار على أمير اسفنديار وقرمان، وحاكم ازمير، والزمهما بالتعهد والقسم على عدم الخروج عليه مرة اخرى. وعقد صداقة مع أمير قسطموني ليعيد الهدوء إلى الأناضول وليتفرغ بعد ذلك لمشاكل الروملي[٣٥].

كما حاول السلطان محمد جلبي ان يحافظ على حدود دولته وذلك عن طريق ايثار السلام ومصادقة الإمبراطور البيزنيطي وتقديم بعض التنازلات له، كما استقبل سفارات من حكام العرب ، وولاشيا، والبانيا [٣٦]. وعقد معاهدة صلح مع البندقية عام ١٤١٦ أجازت للاخيرة التجارة في اراضي العثمانيين [٣٧] كما عقد صلح آخر مع المجر لأربع سنوات (١٤١٦-١٤٢٠) [٣٨]. وهذا يدل على ان السلطان حاول ان يجنب نفسه ودولته أية حرب تجلب له المزيد من المشاكل ، لاسيما انه كان بحاجة ماسة خلال تلك الحقبة إلى بث الهدوء والاستقرار في كيان دولته التي اتعبتها وانهكتها الحروب الاهلية.

من جانب أخر، بذل السلطان محمد جلبي جهوداً كبيرة لمحو أثار الفتن التي أثيرت من قبل بدر الدين السماوني [٣٩] الذي بدأ حركة من ازنيقه، وزاد عدد مريديه بسرعة كبيرة ، حينما ارسل لها قوة قادها بايزيد باشا أحد وزرائه، الذين نجح في القضاء على الحركة في

الاناضول ، حينما فر بدر الدين السماوني إلى البلقان، لكنه وقع في قبضة العثمانيين عام ١٤١٧، وأعدم بعد محاكمته وادانته بالزندقة والارتداد عن الإسلام (٤٠).

ولم يكد السلطان ينتهي من تمرد بدر الدين حتى تمرد عليه أخوه مصطفى ، الابن الخامس لبايزيد، الذي أختفى بعد معركة أنقره. وقد تمكن السلطان من ان ينهي هذه المشكلة بأن اتفق مع الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني، الذي ساعده في حركته، على ان يبقي أخاه محجوزاً لديه، وان يخصص له راتباً سنوياً، كي لايقوم بأي نشاط معاد له . وكان هذا التمرد الذي حدث عام ١٤١٩ اخر الفتن الداخلية التي شهدتها الدولة العثمانية على عهد السلطان محمد جلبي (٤١).

أخفى الوزراء خبر وفاة السلطان محمد جلبي عام ١٤٢١، لحين وصول ابنه مراد من أماسيا، ليتسلم مقاليد الحكم. وكان يبلغ من العمر الثامنة عشرة ، وقد تسلمها بعد احدى وأربعين يوماً، ليصبح سادس سلاطين آل عثمان (٤٢).

أفتتح السلطان مراد عهده ، بإبرامه الصلح مع امير قرمان من جهة، والمجر من جهة أخرى ، ولمدة خمس سنوات . وعلى ما يبدو فأن مبادرة الصلح جاءت من طرف مراد الذي ارسل بعض الهدايا إلى امراء المناطق التي تمردت عليه حال توليه السلطنة، مستغلة صغر سنه، وكانت هذه المناطق هي قرمان، ومنتشا، وأيدين ، وصاروخان (٤٣).

كما انه واجه في بداية حكمه مشكلة أكبر، تمثلت بحركة دوزمه مصطفى أي (مصطفى الكذاب أو الدعي) ابن بايزيد، الذي ينفي المؤرخون نسبه لبايزيد، ويتهمونه بالكذب، وقد بدأت هذه المشكلة حينما طلب منه الامبراطور البيزنطي ما نويل الثاني – الذي أحتمى عنده مصطفى ابن بايزيد كما مر بنا – ان يتعهد له بقدم محاربته وان يسلمه أثنين من أخوته تأميناً لهذا التعهد ، وهدده بأطلاق سراح عمه مصطفى ابن بايزيد، ولما لم يجبه مراد الثاني إلى طلبه، أخرج مصطفى من منفاه، وامده بقوة عسكرية بضمنها عشرة مراكب حربية حاصر بها مدينة غاليبولي، وسيطر عليها ثم تقدم إلى أدرنه بقسم من قواته، فتصدى له الصدر الأعظم . ولكن دوزمة مصطفى القى بعسكر العثمانيين خطبة بين فيها أحقيته بحكم الدولة العثمانية من ابن أخيه السلطان مراد الثاني، فأطاعه بعض القوات وقتلوا الصدر الأعظم (٤٤). الا ان مراد الثاني سار اليه والتقى به عند نهر أولوباد، وانتصر عليه بعد ان استمال عدداً من قادته ، فسلمه جنوده إلى ابن أخيه الذي أمر بشنقه (٤٥).

وبعد القضاء على هذه الحركة ، أوفد مانويل الثاني بعثة إلى السلطان مراد، كي يعتذر له عما حدث (٤٦)، غير ان الخسائر التي واجهتها الدولة لم تكن لتغتفر من قبل

السلطان الذي كان مصمماً على الانتقام من بيزنطة ، حيث جهز جيشاً، حاصر القسطنطينية في اب من عام ١٤٢٢، لكنه سرعان ما اضطر إلى رفعه، وأنسحب عنها ، بسبب خروج اخ له عليه واسمه مصطفى، والذي تمكن من ان يستولي بنفيه بمساعدة من قبل الإمبراطور البيزنطي، إلا ان السلطان مراد أنتصر عليه وامر بشنقه، لاخماد هذه الفتنة [٤٧].

وما كاد السلطان مراد الثاني يعقد الصلح مع الغرب في تموز من عام ١٤٤٤، حتى فجع بخبر وفاة ابنه البكر علاء الدين الذي كان يحبه حباً شديداً، فحزن عليه وكثرت همومه [٤٨]، وزهد في الدنيا والملك ، وتنازل عن السلطة[٤٩] لابنه محمد الثاني وكان أذاك في الثانية عشرة من عمره ، ولم يكن السلطان مراد الثاني يرى فيه القدرة والقابلية على تولي أمور السلطنة والملك لذلك أحاطة بمجموعة من اهل الرأي والنظر، من وزراء ومستشارين من ذوي الخبرة والكفاءة الجيدة، لتسيير أمور الدولة بكل هدوء ونظام [٥٠].

كانت الاعباء الملقاة على عاتق السلطان محمد الفاتح وهو ابن الثانية عشرة أكبر من قدرته ، وكان وزراؤه يدركون مدى الخطر الذي يحيط بالدولة العثمانية، فأجمع الوزراء بعد مشاورة السلطان محمد على عودة والده مراد الثاني إلى السلطنة والقيادة من جديد [٥١].

وبعد ان استطاع الجيش العثماني بقيادة السلطان مراد الثاني من ان يحقق الانتصار على الجانب الأوربي في معركة وارنه في التاسع من تشرين الثاني ١٤٤٤، وبعد هدوء هذه العاصفة، اراد مراد الثاني العودة إلى خلوته من جديد، الا ان اركان السلطنة الحت عليه بالبقاء في عرش الدولة العثمانية، وكان السلطان محمد أدرك ما دبر له، فأكنها في نفسه إلى ان تأتيه الفرصة [٥٢].

حاول السلطان مراد الثاني خلال عام ١٤٥١ ان يهيء الأجواء لابنه محمد الثاني كي يأخذ البيعة له من رجال الدول ، لذلك نجده قد بالغ كثيراً في الاحتفال بزواج ابنه محمد من ابنة امير امارة آل قرمان لثلاثة اشهر مستمرة، وكانت أكثر الاعراس أبهة وفخامة، وكان هدفه من ذلك اخذ البيعة لابنه محمد الثاني، وبعد شهر واحد من انهاء مراسيم هذا العرس ، توفي مراد الثاني فجأة في ٩ شباط ١٤٥١ [٥٣].

إصدار التشريع والاثار المترتبة عليه

بقيت مشكلة وراثة العرش من المشاكل التي رافقت الأسرة الحاكمة العثمانية ، إذ ابتدأ السلطان محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١) عهده بسلسلة من الاجراءات في ادارته، كان في مقدمتها، حسب مايذكره غالبية المؤرخين [٥٤]، إصداره الأوامر بقتل أخيه الرضيع احمد، وبإرجاع والدة الرضيع الاميرة مارا الصربية إلى والدها خوفاً من ان ينازعه الملك، وحينما

خشي السلطان سخط الناس، لفق تهمة قتله إلى احد رجال دولته وهو علي بك اورانوس، وامر بقتله ليظهر كمن اقتص للأمير المقتول [٥٥].

ولم يكن قتل الاخوة عند تولي العرش معروفاً في العهود الإسلامية السابقة لعهد الدولة العثمانية، إذ ان الشريعة الإسلامية نهت عن قتل أي شخص دون سبب ، مهما كان ذلك الشخص فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ [٥٦] وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٥٧] وهذا يؤكد على ان الشريعة الإسلامية تعد القتل المتعمد من الكبائر.

وقد ظهرت أولى الإشارات التي تجيز لسلاطين آل عثمان بقتل أخوتهم وذلك في القرن الخامس عشر، وتحديداً في عهد السلطان محمد الفاتح [٥٨]، في البند الخاص بقتل الاخوة ضمن مجموعة القانون نامه [٥٩] والذي ينص على : " **واي شخص يتولى السلطة من أولادي، فمن المناسب ان يقتل الاخوة من أجل نظام العالم، وأجازه أكثر العلماء فليعملوا به** " [٦٠] . لأن وجود الاخوة – حسب اعتقاده – من العوامل التي تثير الفتنة بين المسلمين. وقد أقر أهل الفتوى هذا العرفان واعلنوا انه لايتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية. فأصبحت سنه عند سلاطين آل عثمان لاعتقادهم ان فيه سلام الدنيا والعالم [٦١].

استفحلت مشكلة وراثة العرش، في أواخر أيام السلطان محمد الفاتح، بعد وفاة أبنة البكر وولي عهده الأمير مصطفى عام ١٤٧٤، لاسيما أن السلطان محمد لم يقرر من سيخلفه، مما ادى إلى اختلاف ولداه بايزيد وجم بشأن ولاية العهد، ولعل السبب يعود في ذلك بالدرجة الاولى إلى رغبة كل منهما في الحصول على الحكم، فضلاً عن وجود حالة الانقسام السياسي بين قادة الدولة واعيانها التي انقسمت إلى كتلتين ، مثلت الكتلة الاولى الطبقة الارستقراطية القديمة، في حين مثل التكتل الاخر الطبقة الجديدة من الدوشرمة واللتان عملتا على دعم وتحريض الاميرين لاسيما أنَّ توجهاتها السياسية كانت متطابقة مع توجهات كلا الاميرين. فقد كان الامير بايزيد راغباً في الأقلال من الحروب، وكانت طبقة الدوشرمة متعبة من الحروب، فوجدت الظهير والسند في هذا الامير. في حين حصل الامير جم على دعم ومساندة الطبقة الارستقراطية من العائلات التركية التي كان لها باع طويل في سياسة الدولة العثمانية ، فضلاً عن مكانتها الكبيرة [٦٢] .

وبعد وفاة السلطان محمد الثاني في ٣ أيار من عام ١٤٨١ ، جلس ابنهَ الأكبر بايزيد الثاني على عرش الدولة العثمانية الذي كان – أبان حكم محمد الفاتح – حاكما على أماسيا (شرق ازمير)، في حين كان أخيه الأصغر جم حاكماً على لواء قرمان [٦٣].

ولم تكن تولية بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) لعرش الدولة العثمانية سهلةً، بل رافق ذلك صراع مرير وطويل مع أخيه الأصغر جم، فقد بادر الصدر الاعظم محمد باشا قرمان إلى اخفاء نبأ وفاته لأطول فترة ممكنة ، وذلك لاخبار جم بوفاة والده، وتمكنه من الوصول إلى العاصمة لتسلم العرش قبل ان يتمكن بايزيد الثاني واعوانه من السيطرة على مقاليد الحكم من جهة ، ومن ناحية أخرى كي يمنع حصول أي تمرد في صفوف القوات الانكشارية [٦٤].

ومع كل هذه الاجراءات والتدابير لم يكتب لمساعي الوزير القرماني النجاح، فسرعان ما انتشر خبر وفاة السلطان محمد الفاتح في معظم معسكرات الانكشارية [٦٥] . الذين قرروا اعلان التمرد والعصيان، وثاروا على الصدر الاعظم وقتلوه مع عدد من اعوانه ونهبوا داره، ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا بعض المحلات ومنازل اثرياء المدينة ونهبوها [٦٦]، ونصبوا في ٤ ايار ١٤٨١ كوركود ابن بايزيد الثاني سلطاناً لحين حضوره والده [٦٧].

ومما يتقدم يتبين لنا ، أنَ الصراع حول عرش السلطنة قد فسح المجال امام كبار رجال الدولة والقوات العسكرية إلى التدخل في شؤون السلطنة، وفي تولية السلاطين الذين يتوافقون مع مصالحهم، ويحققون مطاليبهم. فما ان وصل بايزيد الثاني إلى سواحل استانبول ، حتى تقدمت قوارب الانكشارية واحاطت بسفينته التي كانت تقله ، وقبل ان ينزل من مركبه تقدم الانكشارية بطلب يقضي بأقالة احد الوزراء ، ويدعى مصطفى باشا، وتعيين اسحاق باشا مكانه فاستجاب بايزيد الثاني لطلبهم، ولدى وصوله إلى السراي السلطاني ، تقدم الانكشارية أمام السراي وطالبوه بأمرين آخرين وهما، إصدار العفو العام عن كل الجرائم التي اقترفوها بحجة ان ذلك كان لمصلحة السلطان[٦٨] ، هذا فضلاً عن مطالبتهم له باغداق الاموال عليهم ، تعبيراً عن سرورهم بتقلده الحكم . ولم يكن بوسع السلطان بايزيد الثاني الا ان يستجيب لمطاليبهم، فعفى عن جرائمهم، واغدق عليهم الاموال ، ثم جلس على عرش السلطنة في ٢١ مايس ١٤٨١ [٦٩].

أما الامير جم الذي فقد فرصته في الحصول على الحكم، ولم يعلم بنبأ وفاة والده، إلا بعد اربعة ايام من ذلك ، فقد اعلن تمرده ، وحاول بكل الوسائل كسب مؤيدين له، كي يتسنى له بعد ذلك الوصول إلى عرش السلطنة، ولو كان على حساب وحدة الدولة، لذلك اعلن نفسه سلطاناً على الأناضول عام ١٤٨١ ، وأمر بذكر اسمه في خطبة الجمعة، وضرب اسمه على

النقود. واتخذ من مدينة بورصة مقراً له بعد ان تغلب على الانكشارية الموجودين فيها، والتف حوله عدد كبير من اتباعه(٧٠).

وهكذا اصبح للدولة العثمانية سلطانان في وقت واحد، بايزيد الثاني في اسطنبول ، وجم في بورصة، وقد بعث إلى اخيه يطلب منه الصلح، ويعرض عليه اقتسام الدولة إلى شطرين، الأسيوي ويكون من نصيب جم ، والأوربي والذي يكون لبايزيد الثاني (٧١). وقد جاء عرضه هذا بعد ان علم بتقدم قوات السلطان بايزيد الثاني بأتجاه بورصة، فحاول مرة أخرى أن يجد حلاً للأزمة القائمة بينهما وذلك ، من خلال تكليف عمتهم سلجوق خاتون التي تحضى باحترام العائلة المالكة، بأن تترأس وفداً ضم كبار العلماء وذلك في ١٤ حزيران ١٤٨١ ، اذ التقتْ سلجوق خاتون السلطان بايزيد في معسكره، وطلبت منه ان يقبل بعرض أخيه جم تجنباً للحرب بين الأخويين وحقناً لدماء المسلمين غير ان بايزيد رفض مقترحات الوفد، رغم تقديره العالي لعمته وللعلماء، مبيناً لهم ان لا أرحام بين الملوك (٧٢).

لم يبق امام الأخوين، سوى الخيار العسكري، فزحف بايزيد الثاني باتجاه أخيه جم ، ودارت رحى معركة بينهما في منطقة (يكي شهر) في الأناضول في ٢٠ حزيران ١٤٨١، انتهت بهزيمة جم ، وفراره جريحاً إلى قرمان ثم إلى قونيه التي وصلها في ٢٥ حزيران، وبعد ثلاثة ايام قرر ترك مدينة قونية بعد ان علم باتجاه قوات بايزيد الثاني لها ، كانت المدينة اضعف من ان تواجه تلك القوات (٧٣).

أقام الأمير جم في مدينة أدنه التي كانت تابعة للدولة المملوكية، وخلال اقامته فيها، اتصل بالسلطان المملوكي الأشرف قايتباي (١٤٦٧-١٤٩٦م) وطلب منه السماح له بدخول مدينة حلب، فوافق الأخير على طلبة ، واستدعاه إلى القاهرة بشرط اصطحاب عدد قليل من جنوده (٧٤) .

وعلى ما يبدو فأن السلطان المملوكي ، وجد في مسألة تقديم العون والمساعدة للأمير جم وسيلةً للضغط على السلطان بايزيد الثاني ، إذ امر السلطان المملوكي بتنظيم احتفال كبير لاستقباله خرج فيه الوزراء والأمراء ودخل جم في موكب مهيب، وخصص له قصراً لاقامته مع أسرته(٧٥).

قرر السلطان بايزيد الثاني سحب قواته إلى العاصمة اسطنبول، بعد ان وصلت اليه أخبار وصول أخيه جم إلى القاهرة . غير ان القوات الانكشارية حاولت استغلال هذا الصراع ما بين الأخوين، إذ طلبت من السلطان بايزيد الثاني ان يأذن لهم بنهب مدينة بروسه، بحجة الانتقام لموقف أهلها المؤيد للامير جم، فلم يقبل السلطان بذلك، عندها عزم الانكشارية على

التمرد، فاضطر السلطان ان يمنح كل فرد منهم مبلغاً من المال، فهدؤوا، ونجت بروسه من الخراب [٧٦].

مكث الأمير جم في القاهرة أربعة أشهر، ثم قصد الأراضي المقدسة وذلك لاداء فريضة الحج من جهة، وللحصول على الدعم، والاعتراف بأحقيته في الحكم من قبل اشراف مكة والحجاز ولما لهم من المكانة والهيبة في العالم الإسلامي من جهة اخرى، ولما عاد إلى مصر بعث السلطان بايزيد الثاني برسالة اليه جاء فيها : " **بما انك اليوم قمت بواجباتك الدينية في الحج فلماذا تسعى إلى الامور الدنيوية من حيث الملك كان من نصيبي بأمر الله فلماذا تقاوم ارادة الله؟** " [٧٧] فرد عليه الأمير جم برسالة " **هل من العدل ان تضطجع على مهد الراحة والنعيم وتقضي أيامك بالرغد واللذات وانا أحرم من اللذة والراحة واضع رأسي على الشوك** " [٧٨].

طلب الأمير جم من السلطان المملوكي قايتباي ان يأذن له بالعودة ومقاتلة أخيه السلطان بايزيد، فأذن له السلطان المملوكي وزود بالقوات والأموال، فوصل إلى حلب في ٦ مايس ١٤٨٢. وبعد ان جمع اعوانه سار جم لمحاصرة قونية، غير ان القوات العثمانية تمكنت من التصدي لها، ومني جم بهزيمة اخرى بالقرب من انقره في ٨ حزيران ١٤٨٢. وبعد ان ضاقت به السبل وصل إلى جزيرة رودس في ٢٠ تموز من العام نفسه وكانت هذه الجزيرة تحت سيطرة فرسان القديس يوحنا الاورشليمي [٧٩] وخلال فترة اقامته في رودس، أرسل السلطان بايزيد الثاني وفداً إلى رئيس الفرسان يحمل عرضاً، قضى بإبقاء الامير جم لديه، كما طلب منه ابعاده عن جزيرة رودس لكونها قريبة من حدود الدولة العثمانية [٨٠] مقابل ذلك تعهد السلطان بدفع مبلغ من المال سنوياً مقداره (٤٥٠٠٠) ليرة / دوكاً ذهبية [٨١]، وبعدم التعرض لجزيرة رودس طيلة حياته . فقبل رئيسهم بذلك . وأوفوا بعهدهم للسطان العثماني حتى انهم لم يقبلوا بتسليمه إلى ملك المجر، أو إمبراطور المانيا اللذين طلبا اطلاق سراحه ليستعملاه أداةً لاضعاف الدولة العثمانية . بل ارسله رئيس الرهبنة إلى فرنسا ووضع في مدينة نيس، ثم في شمبري، وبقي ينقل من بلدة لأخرى لمدة سبعة اعوام. وفي عام ١٤٨٩ سلمهُ رئيس الرهبنة إلى البابا انو سان الثامن، الذي اتصل به بايزيد الثاني، طلباً منه ابقاء الأمير جم عنده، مقابل ان يدفع له ماكان يدفع الُفرسان القديس يوحنا [٨٢].

وفي هذا الاثناء حاصر ملك فرنسا شارل الثامن بلاد ايطاليا، وطلب من البابا ان يسلمه الامير جم ليستخدمه اداة ضغط على الدولة العثمانية، فسلمهُ اليه ، الا ان الروايات التاريخية تذكر بانه – أي البابا – دس له السم قبل تسليمه اليه ، وقد توفي اثناء مصاحبته

للقوات الفرنسية في مدينة نابولي الايطالية في ١٤ شباط من عام ١٤٩٥، بعد ان قضى ثلاثة عشر عاماً في حالة شبيه بالأسر خارج بلاده [٨٣] .

من جانب آخر ، طيلة فترة الصراع ما بين الأخوين، تعرض السلطان بايزيد الثاني إلى الكثير من الابتزاز من قبل البلاد المجاورة لدولته، أو من قبل عدد من الدول الأوربية. هذا فضلاً عما انفقه من الاموال التي حملت الخزينة العثمانية أعباء مالية ثقيلة بلغت أكثر من ستمائة الف قطعة ذهبية، كانت تنفق على حجز الامير جم، عدا الذي خصص لقتله، والتخلص منه نهائياً، ناهيك عن الهدايا التي كانت ترسل إلى البابا ، والمساومات الاخرى لإطلاق سراح الاسرى النصارى لدى الدولة العثمانية [٨٤].

هذه الامور مجتمعة قد أضعفت بشكل كبير نظام حكم بايزيد الثاني، حتى ان عهده لم يشهد أي حروب أو فتوحات، بل كانت اغلبها على التخوم لصد هجمات المعتدين، وان حصلت وقائع لم تكن لتحقق اية نتائج ايجابية في حدود الدولة العثمانية [٨٥]، وقد اشار أحد المؤرخين إلى ان بايزيد الثاني كان ضعيفاً ولو أن الذي جاء بعده مثل ضعفه لتقدم انحطاط الدولة العثمانية زمناً طويلاً [٨٦].

وسرعان ما تجدد الصراع من جديد ما بين ابناء بايزيد الثاني وهم (احمد، وكوركود، وسليم) . وكان احمد أكبر أبنائه سناً من الذين بقوا على قيد الحياة [٨٧]، بل احبهم إلى قلبه، كما انه يتمتع بشعبية كبيرة بين الاعيان والأمراء لطبعه الهادىء، وعلمه، واعتداله، حتى ان بعض المصادر عدته ولي العرش[٨٨]. فضلاً عن انه كان ادارياً قديراً، استطاع ان يكسب حب رعيته، إلا انه واجه معارضة شديدة من الانكشارية ، بسبب الهزائم التي مني بها لدى قيادته لها في الاناضول [٨٩] .

اما كوركود فكان محبوباً من قبل العلماء وحظي بتأييدهم، إذ نشأ في بلاد جدة السلطان محمد الفاتح، فكان ميالاً للشعر والعلم والموسيقى، وملك معرفة واسعة في العلوم الإسلامية [٩٠] . كما انه وجه عناية كبيرة للبحرية العثمانية ، فحظي بشعبية كبيرة بين أوساطها التي لم تكن تتمتع بنفوذ كبير في الدولة مقارنة مع القوات البرية، لذلك فهو كان غير مرغوب فيه من قبل كبار ضباط الانكشارية الذين اعتبروه غير جدير بالعرش العثماني [٩١].

أما سليم الملقب بـ (ياوز) أي الرهيب أو الشديد ، لقوة طبعه [٩٢] فقد كان أقدر اخوته على تسيير سفينة الدولة إلى بر الامان، اذ كان على اطلاع واسع في الامور السياسية مع حُسن بلاء في الحرب [٩٣]، لذلك نال تأييد الجيش الذي كان ينظر اليه على انه الأمل

المرتجى في بعث النشاط الحربي للدولة العثمانية ودفع حركة الفتوحات إلى الامام ونيل الغنائم[٩٤].

وقد خشي بايزيد الثاني اختلاف أولاده ، ففرق بينهم، وذلك بتعيينهم على ولايات الدولة، الا ان ولده سليم لم يرض بولايته على طرابزون (على البحر الاسود) فطلب من والده احدى ولايات اوربا. ولما لم يقبل السلطان بذلك لذا جمع سليم جيشاً لمحاربة والده، الذي اضطر ان يرضخ للأمر الواقع،فعينه على احدى ولايات بلغاريا. غير ان سليم طمع في أكثر من ذلك، إذ اعلن نفسه سلطاناً في ولاية أدرنه، فارسلَ والده جيشاً لمحاربته ففر إلى بلاد القرم[٩٥].

عقد الانكشارية في ٦ أذار ١٥١٢ تجمعاً في استانبول شارك في هذا التجمع الوزراء مع كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين، كما شاركت فرق الفرسان ، فبلغ عددهم أكثر من اثني عشر الفاً. وقد سار المجتمعون إلى مقر السلطان بايزيد الثاني ، وطلب قادتهم مقابلة السلطان ، كي يعزل نفسه ، ويجلس ابنه سليم مكانه، فأضطر السلطان تحت الضغط ان يتنازل لابنه سليم الذي استدعي إلى العاصمة اسطنبول بصورة رسمية [٩٦]، و اقام الانكشارية تجمعاً حافلاً لأستقبال السلطان الجديد سليم، الذي القى خطاباً جاء فيه: " **عندما اصبح سلطاناً ، لن أمكث في القصور بل سأخرج إلى فتح الممالك، وستتعبون في عهدي أكثر مما ترتاحون. فاذا كان مثل هذا التعب يناسبكم فاقبلوني سلطاناً. أما اذا اردتم اللهو والراحة فأن السلطان احمد يقف هناك**" [٩٧].

وهذا يدل على ان السلطان سليم حاول ان يكسب الانكشارية من خلال اغرائهم بما ستدر عليهم تلك المعارك والحروب من غنائم وغيرها.

وفي ٨ صفر من عام ١٥١٢ ، عزل السلطان بايزيد الثاني عن عرش الدولة العثمانية، وجلس السلطان سليم مكانه. وأصدر مرسوماً لأجل تثبيت أخويه احمد، وكوركورد على الاقاليم التي كانت تحت ايديهما، فقبلا هذا المرسوم كنوع من الرضى على جلوسه على عرش السلطنة [٩٨].

وسرعان ما خرج احمد [٩٩] الذي كان حاكماً على اماسيا على أخيه السلطان سليم، فسيطر على بورصة، وفرض على اهلها الضرائب الباهضة[١٠٠]، فترك السلطان سليم ابنه سليمان في العاصمة اسطنبول، وتوجه بحملة عسكرية كبيرة من سبعين الف مقاتل في البر [١٠١]، وحملة بحرية مؤلفة من مئة وخمسين مركباً [١٠٢]. وتمكن من خلالها السيطرة على بورصة ، غير انه لم يتمكن من القاء القبض على اخيه احمد الذي هرب بمساعدة احد

الوزراء، الذي ما ان علم السلطان بخيانته حتى أمر بقتله [١٠٣]. والقى القبض على اولاد أخوته الخمسة، الذين كان أكبرهم يبلغ من العمر عشرون عاماً واصغرهم لم يتجاوز السبعة اعوام، واصدر الأوامر بقتلهم جميعاً [١٠٤].

وبعد وصول أخبار مذبحة الامراء الصغار حاول السلطان سليم ان يغري اخيه كوركود بالخروج عليه، وذلك من خلال أجبار بعض مساعديه بكتابة كتب مزيفة تغريه بالخروج على السلطان سليم، ويمنحوه الوعود بالمساندة اذا ما فعل ذلك، فجاء رد كوركود عليهم بالايجاب [١٠٥].

وعلى ما يبدو فأن السلطان سليم اراد ان يدفع بكوركود للخروج عليه كي يعطي السند الشرعي لقتله.

توجه السلطان سليم على وجه السرعة ، بعشرة الاف مقاتل إلى مدينة صاروخان حيث مقر أخيه كوركود، الذي لم يتمكن من ان يقاوم هذه القوات، فهرب مرة اخرى، وبعد عدة أسابيع من التحري والبحث عنه، تمكن احد القادة العسكريين الذي كلفهم سليم بالبحث عن كوركود من القبض عليه واعدامه [١٠٦].

أما احمد فقد جمع جيشاً من معاونيه تمكن من خلاله تحقيق بعض الانتصارات على قوات السلطان سليم ، الا انه سرعان ما تم أسره وإعدامه في مدينة يكي شهر في ٢٤ نيسان من عام ١٥١٣ [١٠٧]. أما ولداه مراد، وعلاء الدين، فقد هرب احدهم وهو مراد إلى الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠٠-١٥٢٤)، في حين لجأ علاء الدين إلى السلطان المملوكي الاشرف قانصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٦)، ولما طالبهما السلطان سليم بتسليم ابناء اخيه امتنعا عن ذلك، فأسرها سليم في نفسه، حيث كانت تلك الحادثة احد اسباب الصراع العثماني – المملوكي (١٥١٦-١٥١٧) ولم يبق من افراد الأسرة الحاكمة العثمانية غير ابنه سليمان[١٠٨].

وبالرغم من وصول الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان (١٥٢٠-١٥٦٦) إلى اوج مجدها ، ووصول جيوشها إلى ابواب فيينا عاصمة النمسا ١٥٢٩ ، ودخولها تبريز عاصمة بلاد فارس للمرة الثانية ١٥٣٣ وفتح مدينة بغداد ١٥٣٤ وتونس، والجزائر ١٥٣٥ وبلاد اليمن ١٥٥٥ ، فقد وقعت في عهده احداثاً شنيعة، اصبحت علامات سوداء في تاريخ هذا السلطان [١٠٩].

أتضحت مقدمات ضعف الدولة في هذا العهد نفسه إذ وقع السلطان تحت تأثير زوجته خرم أي (الباسمة) والمعروفة في أوربا بأسم روكسلانا [١١٠] التي تدخلت للتآمر ضد الامير

مصطفى – أكفأ ابناء سليمان من زوجة أخرى – وذلك لافساح المجال أمام ابنها سليم لكي يرث العرش . وقد أدى قتل مصطفى في عام ١٥٥٣ إلى سخط الانكشارية وشاغلي الاقطاعات في الأناضول وغيرهم، مما و إلى حدوث اضطراب كبير قاده رجل ادعى بانه الأمير المقتول . وقد قضى عليها سليمان بقتل آلاف ممن اشتركوا فيها، وصادر املاك المتهمين [١١١].

وهكذا أخذ يظهر وبشكل كبير تأثير نساء البلاط على السلاطين، في ادارة أمور الحكم ، إذ لم تكتفي روكسلانا بإثارة هواجس وشكوك السلطان سليمان وقتله لابنه مصطفى، بل أرسلت إلى مدينة بورصة من يقتل ابنه الرضيع. كما انها تمكنت من التأثير في السلطان كي يعين رستم باشا البلغاري الأصل لمنصب الصدارة العظمى ، فبلغت روكسلانا أوج قوتها ونفوذها لان رستم باشا كان زوج ابنتها وطوع أمرها [١١٢].

وكان للسلطان سليمان ولداً أخر يدعى جهان كير، والذي كان شديد التعلق بأخيه مصطفى فحزن عليه حزناً كبيراً وانتحر امام والده السلطان بعد ان عنفه على قتل أخيه غيلةٍ[١١٣].

لم يبق للسلطان سليمان سوى ولدين هما سليم، وبايزيد، وكان بايزيد يحمل الكثير من صفات أخيه مصطفى كرجاحة العقل والشجاعة، واستقامة الأخلاق، وهو مؤهل للحكم أكثر من اخيه سليم بالرغم من انه الاصغر في السن. لذلك خشى سليم من ان يوصي السلطان بالملك لأخيه من بعده، فراح يبحث عن طريقه تخلصه منه. فاتفق مع لاله مصطفى مربي بايزيد – بعد ان اغراه بالأموال – على التخلص منه . فكتب لاله مصطفى إلى بايزيد بأن السلطان سليمان مصمم على تولية سليم من بعده بالرغم من انغماسه بالشهوات والمعاصي، فكتب بايزيد إلى اخيه سليم كتاباً تعُرَض فيه لابيهما السلطان، فأرسل سليم الكتاب إلى والده، الذي ما ان اطلع عليه حتى ارسل بطلب ابنه – وكان حاكماً على قونية – فخشي بايزيد من غدر ابيه واظهر التمرد عليه فأرسل السلطان قوات استطاعت ان تهزمه في ٣١ ايار ١٥٦١ فتقهر إلى أماسيه ثم التجأ مع أولاده إلى بلاد فارس. اذ قدم لهم الشاه طهماسب (١٥٢٤–١٥٧٦) الأمان والحماية لكن الشاه لم يرع ذمتهم بل خانهم وسلمهم إلى رسل السلطان فقتلوهم جميعاً وهم بايزيد وأولاده الأربعة (أورخان ، ومحمود ، وعبد الله، وعثمان) في مدينة قزوين في بلاد فارس، ونقلت جثثهم إلى مدينة سيواس ليواروا الثرى، وكان لبايزيد ابن صغير في مدينة بورصة، فخنق ودفن في جانب والده واخوته[١١٤] .

ومن مظاهر الضعف الأخرى في اواخر عهد سليمان، التي كان لها انعكاساتها السلبية على باقي السلاطين الذين تولوا من بعده، هو انسحاب السلاطين من جلسات الديوان السلطاني الذي كان يصدر القرارات المهمة للدولة، فكان السلاطين الاخرون لايمارسون الحكم الا بواسطة وزراء كانوا احياناً مثالاً للفساد ، فضلاً عن بروز سطوة الحريم، والعجز عن مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تثير سخطاً متزايدا ، مما ادى إلى حدوث القلاقل والاضطرابات في بلاد الروملي والاناضول [١١٥].

من جانب آخر، فانّ السلطان سليمان كان اول سلطان عثماني امتنع عن الخروج على رأس القوات للحرب ، كما انه أجاز للقوات الانكشارية التي لم تكن تخرج الا تحت قيادة السلطان، إلى الخروج بدونه، وتحت امرة الصدر الاعظم أوقائد عسكري غيره. فكان ذلك سبباً في تقاعس أغلب السلاطين الذين جاؤا من بعده في ادارة أمور الدولة والجيش ، وتفضيلهم البقاء في قصورهم الباذخة مع محظياتهم وجواريهم. وهذا بدوره أدى إلى عزلهم عن الحياة العامة، وتسليم امور الدولة بيد رجال المؤسسة الحاكمة من ذوي الأصول الأوربية[١١٦].

وبعد وفاة السلطان سليمان الأول ١٥٦٦، لم يتمكن من خلفّه السلاطين الذين أتوا بعده منْ توسيع رقعة الدولة العثمانية ، بل قدر لهؤلاء ان يبدأوا مشوار الهبوط الطويل على منحدر الضعف والانحطاط ، وكان أول أولئك السلاطين السلطان سليم الثاني (١٥٦٦–١٥٧٤) الملقب بالسكير – ابن خرم شاه– وبتوليه تقلد سيف عثمان الأول للمرة الأولى عاهل لايقود جيش الإسلام بنفسه، بل يمضي أوقاته في الملذات الرخيصة، بعد ان كان أسلافه يمضونها في تصريف شؤون الدولة . وهكذا برز بعد انقضاء عهد السلطان سليمان عدد كبير من الساسة والقادة الذين يمتلكون الخبرة والمهارة في ادارة امور البلاد ومن هؤلاء الوزير محمد صوقوللي – وهو سلافي الأصل من الهرسك – الذي مارس سلطته على السلطان سليم، بدرجة تمكن فيها من ان يوقف الفوضى وان يحافظ على روح العظمة في التخطيط والحيوية في التنفيذ وهو ما تميز به الباب العالي حتى ذلك الوقت [١١٧]. فكان اول ما واجهه صوقوللي اتجاه روسيا إلى التوسع، مما جعله يتصرف بحكمة وروية، إذ اوقف الحرب مع النمسا عام ١٥٦٨، وارسل حملة إلى استراخان بين عامي (١٥٦٨–١٥٦٩) كما تمكن من ان يسترجع اليمن بين عامي (١٥٦٨–١٥٧٠) ، واستولى على جزيرة قبرص بين عامي (١٥٧٠–١٥٧١)[١١٨].

وقد حاول السلطان سليم الثاني من وقت للآخر ان يتدخل في ادارة شؤون الدولة ، واتخذا القرارات السياسية ، إلا انه قضى معظم سنوات حكمه الأخيرة بين الحريم، تاركاً شؤون

الدولة في يد محمد صوقوللي، وكانت النتيجة هي بدء عهد (سلطنة الحريم) التي تبرزت في القرن السابع عشر. كما نجد ان السلطان سليم الثاني قد تخلى عن العادة القديمة الخاصة بتدريب الامراء العثمانيين على شؤون الادارة والحرب وذلك بأشتراكهم في حكم الولايات. ومنذ ذلك الوقت كان الامراء يمضون حياتهم في الحريم، دون ان يكتسبوا علماً أو خبرة مما قد يفيدهم حين يتولون الحكم [١١٩].

ارتقى السلطان مراد الثالث (١٥٧٥-١٥٩٦) العرش العثماني بعد وفاة والده السلطان سليم الثاني ، وكانت فاتحة اعماله ان أصدر امراً بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق، وافرط فيه الجنود لاسيما الانكشارية، فثاروا ضده ، مما أضطر السلطان مراد الثالث إلى التراجع عن هذا الامر واباحته بمقدار لايترتب منه ذهول العقل أو تكدير الراحة العامة. كما انه أمر في الوقت نفسه بقتل أخوته الخمسة وهم (محمد، وسليمان، ومصطفى، وجهانكير، وعبدالله) ، بحسب السنة الدموية العثمانية ليأمن على ملكه من النزاع[١٢٠].

اشتهر مراد الثالث بميله لأقتناء الجواري، وكان من بينهن جارية من البندقية اسمها بافو سباها قراصنة البحر ، ثم بيعت في السراي السلطانية، وسميت صفية لان السلطان مراد الثالث إصطفاها لنفسه وقد بلغت في قلبه مبلغاً، وتدخلت كثيراً في شؤون السياسة، وهي والدة السلطان محمد الثالث الذي تولي الملك بعد أبيه [١٢١]. وقد اسهمت والدة السلطان مراد الثالث في اضعاف مركز ولدها، ودفع عرش ال عثمان إلى منحدر خطير ، إذ عملت السلطانة الوالدة – وهو مقام كبير حسب تقاليد الدولة العثمانية – على ابعاد ولدها السلطان عن محظيته الايطالية، وذلك من خلال تهيئة المزيد من الحسناوات لولدها السلطان. مما اضعف سلطته ونفوذه في الحكم [١٢٢]، تاركاً شؤون الدولة بيد محمد صوقوللي الذي استمر بتولية الصدارة العظمى خلال السنوات الخمس الأولى من حكم مراد الثالث ، إلى ان قتل في عام ١٥٧٩، نتيجة لاحدى مؤمرات القصر، بعد ان نجح في المحافظة على هيبة الإمبراطورية العثمانية، على ان ضعف سلطته نتيجة لفساد محظيات سليم الثاني ، ثم نساء القصر في عهد مراد الثالث مما أشعر العالم العثماني كله بصدمة اهتزت على أثرها اركان الإمبراطورية التي انتقلت من البلاط إلى العاصمة اسطنبول ثم إلى الولايات ، وفي النهاية أحست بها الدول الاجنبية [١٢٣].

وبعد وفاة السلطان مراد الثالث عام ١٥٩٦، تولى من بعده أبنه السلطان محمد الثالث (١٥٩٦-١٦٠٣) وهو ابن صفية الايطالية، وكان له تسعة عشر أخاً أمر بخنقهم جميعاً قبل دفن أبيه، ودفنوا معاً اتجاه جامع آياصوفيا في اسطنبول . وفي اوائل حكمه سار على اثر

سلفه في عدم الخروج إلى الحرب ، تاركاً ادارة أمور الدولة بيد وزرائه أمثال سنان باشا، وحسن باشا، وجفالة زاده سيكالا الجنوي الاصل . الذين استغلوا ضعف مقام السلطان لتحقيق مكاسب شخصية ، مما أدى إلى استشراء الفساد السياسي، والاقتصادي في كافة أجهزة الدولة . فحدثت الثورات عام ١٦٠١ في الأناضول من قبل طائفة من الجنود المستأجرين علوفه جي أي (المرتزقة) والسباهية الذين طالبوا بارزاقهم والتي لم يكن بوسع الدولة تلبيتها لان مواردها كانت قليلة جداً . فتمردوا ونهبوا حتى تم القضاء عليهم عن طريق الانكشارية [١٢٤]، وهذا يدل على اختلال النظام العسكري ، وعدم صلاحيته للحفاظ أو للدفاع عن الدولة العثمانية من اعدائها.

استمر خلفاء السلطان محمد الفاتح بالسير على القانون الذي ناشدهم فيها بأن يبدؤا ولايتهم العرش بقتل اخوتهم ، ونفذ هذا القانون حتى أواخر القرن السادس عشر ، حيث حل محله نظام أخر، والذي أصبح فيه كل الامراء – باستثناء ابناء السلطان الحاكم – يحبسون في القصور ، ويحرم عليهم كل اتصال بالعالم الخارجي ويقضون معظم حياتهم في صحبة عدد من الجواري ، والعبيد، والذين كانوا يزودونهم بكل ما يستطيعون أستقاءه من معلومات عن العالم الخارجي [١٢٥].

كان السلطان احمد (١٦٠٣–١٦١٧) الذي تولى الحكم بعد وفاة والدة السلطان محمد الثالث، أول من أبطل شريعة قتل الاخوة ، إذ تولى الملك ولم يتجاوز الرابعة عشرة، ولم يكن له أبناء، وكان له أخ مختل العقل اسمه مصطفى، لذا لم يقتله كما جرت العادة في تعاقب سلاطين آل عثمان ، خوفاً من انقطاع نسل اسرة آل عثمان، فتم حجزه وعزله عن العالم الخارجي في جناح خاص، داخل جناح الحريم في قصر السلطان [١٢٦].

يتبين لنا مما تقدم ، ان السلطان احمد الأول، الغى عادة قتل الاخوة، حينما لم يكن له ولد ، وحفاظاً منه على سلسلة الأسرة العثمانية، ابقى على أخيه مصطفى، إلا ان السلطان احمد الأول سرعان ما حاول ان يتراجع عن قراره هذا حينما رزق عام ١٦٠٥ بأبنه عثمان، إذ حاول ان يقتل أخيه مصطفى إلا ان الأمراء ورجال البلاط منعوه من القيام بهذا الشيء [١٢٧] .

توفي السلطان احمد عام ١٦١٧ ، وله من العمر سبعة وعشرين عاماً، ونظراً لصغر سن ولدة عثمان الذي لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، أوصى السلطان الحكم لأخية الأمير مصطفى الذي كان لايدري ماذا يجري حوله، بعد ان عاش معزولاً في القصور بين الحريم معظم سني عمره [١٢٨] . وهذا مما زاد من حالة الفوضى والإرباك في جميع انحاء الدولة العثمانية. فكانت تلك الحقبة بداية لتولي سلاطين منعزلين في اقفاص القصور لعرش دولة

كبيرة مترامية الاطراف والتي كانت لها عواقبها الوخيمة على نظام حكمها وإدارتها، بعد ان اصيبت هيئاتها الحاكمة بالفساد .

الخاتمة والاستنتاج

توصل البحث إلى جملة من النتائج منها:

١- ان تقليد قتل الأخوة ، والمقربين من الأسرة الحاكمة ، لم يكن أمراً جديداً أو مستحدثاً من قبل الدولة العثمانية، اذ ان الكثير من الدول سبقتها قبل ذلك كالدولة الساسانية، والبيزنطينية، لكن المستحدث من قبل العثمانيين هو تشريعهم لقتل الاخوة ، أعتماداً على نص قرآني.

٢- أسند السلاطين العثمانيون الاوائل حكم الولايات التابعة لدولتهم ، إلى امراء البيت المالك كي تكون لهم خبرة في ادارة أمور الحكم. لكن مع مرور الوقت، ازداد طمع الأمراء وتطلعوا للحصول على ولاية العرش، حتى ان كان ذلك بالتمرد على السلطان، والحصول على الدعم والاسناد من البلاد المجاورة للدولة العثمانية ، وقد استغلت هذه الدول ذلك وحرضت الأمراء المتنازعين على العرش على بعظمهم البعض، إمعانا في انهاك قوة الدولة العثمانية.

٣- بداء مشوار الضعف والانحدار في السلطنة العثمانية، بعد وفاة السلطان سليمان القانوني عام ١٥٦٦ ، اذ أخذ السلاطين من بعده ينسحبون من التوجيه الفعلي لشؤون الدولة، مما كان له أثره المدمر في نظام الحكم الذي كان يتوقف على شخص السلطان لذلك كان من الطبيعي ان يتوقع انهيار هذا الجهاز فيما لو انسحب السلاطين من الاشراف عليه، الا اذا شغل نوابهم العامون (الصدور العظام) امكنتهم بشكل كاف، وقد جرت بالفعل محاولات عديدة لاحلال هؤلاء الوزراء محل السلاطين الذين حددت مهامهم في الدولة فيما بعد، بالموافقة على اعمال مندوبيهم، او الاعتراض عليها، والظهور امام الرعية في الاحتفالات الرسمية.

٤- ان خبرة السلاطين العثمانيين أواخر القرن السادس عشر ، الخاصة بالعالم خارج جدران القصر، كانت محدودة، نتيجة لنظام وراثة العرش. مما ادى إلى ان يتولى العرش سلاطين ضعفاء، شبه سجناء، منغمسين في حالة من الاسراف، والترف والأبهة ، والقنص. فضلاً عن النساء، والجواري اللاتي كان لهن تأثير كبير في السلاطين، لاسيما المقربة منهن إلى السلطان، والسلطانة الوالدة التي كانت تحرص على الاحتفاظ بالملك لاولادها. وأخذن يحيكن المؤامرات بمساعدة الوزراء المقربين

لهن، داخل البلاط ، مما انعكس ذلك سلباً على نظام الحكم والادارة سواء اكان ذلك قبل تسلم السلطان العرش العثماني، أو حتى بعد توليهم الحكم.

الهوامش

---

(١) كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ص ٣٤٥-٣٦٥.

(٢) جوزيف فون هامر، دولت عثماني تاريخي، مترجمي: محمد عطا ، أيكنجي – أوجنجي جلد ، ج٣، لجنة ئون بدروسيان، مطبعة سي، أستانبول، ١٩١١، ص٢١٩.

(٣) برناردلويس، استنابول وحضارة الامبراطورية العثمانية، ترجمة: سيد رضوان علي ، دار الكتب ، بيروت ، (د. ت) ، ص٥٥.

(٤) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس، دمشق، ١٩٩١، ص٣٦.

(٥) نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الانكشارية، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢، ص٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧، ص٤١.

(٨) احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق ، ط١، القاهرة، ١٩٨٢، ص ص ٣٨-٣٩.

(٩) James Porter, Turkey its History And Progess, London, ١٩٥٤, P.١٦٧.

(١٠) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(١١) احمد رفيق، بيوك تاريخ عمومي بشسؤيتك تكملات مدينة اجتماعية سياسية، فكرية، النجي جلد، أستانبول ، ١٣٢٨، ص ٤٣٢.

(١٢) نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٢٥ ؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٤٦-٤٧.

(١٣) إسماعيل بليغ افندي البروسي، كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشواران نادره دان، خداوندكار ولايتي مطبعة سي، ١٣٠٢هـ، ص٤٠.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) سقط السلطان مراد الأول صريعاً في (معركة قوصوة) عام ١٣٨٩ خاتماً حياته بنصر كبير حققه على قوات التحالف الصليبي في كوسوفو الذي قاده لازار ملك الصرب بالتحالف مع ملوك المجر ، والبلغار، وامراء الأخلاق، ودلماشيا. وكان السلطان يتجول في ساحة المعركة بعد تحقيقه الانتصار، فتقدم اليه صربي اسمه ميلوش (صهر الملك لازار) متظاهراً بمحاولة تقبيل يده، وما ان اقترب منه، حتى فأجا السلطان بطعنة خنجر اردته قتيلاً، فأمسكت القوات ميلوش هذا وقطعوه أرباً أرباً ، كما تمكنت القوات العثمانية من أسر لازار ملك الصرب ومن ثم قتله. للتفاصيل ينظر: استانبول، ١٩٢٤، ص ١٦٠؛

James Porter, Op. Cit., P.١٦٧.

(١٦) عبد العزيز محمد الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٠٦.

(١٧) رضا نور، المصدر السابق، ص ١٦٥؛ احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق، ص ٥٠.

(١٨) تأسست بعد موت سلطان آل سلجوق ملك شاه عام ١٠٩٢، عدة امارات ، وتجزأت املاك دولة آل سلجوق في بلاد الاناضول إلى عشرة امارات صغيرة وهي : (قره سي، صاروخان، ايدين، تكه، الحميد، القرمان، وكرميان، وقسطموني‌ء، منتشا ، قونية) والتي سرعان ما انضمت إلى دولة آل عثمان. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٣٩-٤٠.

(١٩) احمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج٢، مطبعة المدني ، القاهرة، ١٩٦٨ ، ص ص ١٠٢-١٢٣ ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ص ٥١-٥٤.

(٢٠) ولد تيمور لنك في قرية (كيش) قرب مدينة سمرقند عام ١٣٣٦، منحدراً من سلالة جنكيز خان من طرف الأم ، واسمه تيمور أما (لنك) فتعني الاعرج باللغة التركية، وسمي كذلك لانه كان اعرجاً، وفي عام ١٣٦٩، خلع تيمور لنك أمير خراسان وما وراء النهر، وحول هذه الممتلكات إلى إمبراطورية ضخمة بتوسعاته وحروبه المستمرة، اتخذ سمرقند عاصمة لإمبراطوريته. لمزيد من التفاصيل ينظر:
محمد محمد فياض، تيمور لنك ، دار المعارف، القاهرة، ١٨٩٠.

(٢١) القوات الانكشارية، وتسمى (يني جري) باللغة التركية ، وتعني الجنود الجدد ، وهو اسم كان يطلق على فرق المشاة النظاميين التي تأسست في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث يرجع تنظيمهم إلى زمن السلطات مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩) ، اصبحت بمرور الزمن من اهم القوات الضاربة في الدولة العثمانية والتي مكنتهم من الفتح والتوسع. وكان العنصر الأساسي المكون للانكشارية هم الصبيان النصارى الذين يؤخذون من اهاليهم حسب (نظام الدوشرمة) وهو نظام جمع الغلمان من النصارى والذين تتراوح اعمارهم ما بين الثامنة والخمسة عشر عاماً، وينشؤون على التعاليم الإسلامية، لجعلهم ينخرطون في الفرق الانكشارية والخدمية في القصور . للتفاصيل ينظر: احمد الشنتناوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية، مج٩، انتشارات جهان ، تهران ، ١٩٣٣، ص ص ٣١٩-٣٢٢.

(٢٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : بثينة امين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٢٢؛ محمد فريديك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٥٠-٥١.

(٢٣) نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢٤) زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي ، بيروت، ١٩٤٦، ص١٧٩.

(٢٥) إبراهيم حقي ، تاريخ عمومي، جلد ثالث، قصبار مطبعة سي ، استنابول، ١٣٠٦هـ، ص ٢٧٥.

(٢٦) زبيدة عطا، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢٧) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢٨) المصدر نفسه .

(٢٩) Edward S.Creasy, History of ottoman turks, Orientanl Reprints, Beirut, ١٩٦١, P.٥٣.

(٣٠) عبد العزيز افندي آل حلبي، روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار، بولاق ، القاهرة، ١٨٣٢، ص ٢٦٦.

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧.

(٣٢) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣٣) لقب السلطان محمد الأول (١٤١٣-١٤٢١) بعدة القاب، فقد اطلق عليه رعاياه لقب بلهوان (ومعناها البطل) بسبب نشاطه وشجاعته ، كما لقب بلقب اعلى مقاماً وهو لقب جلبي الذي عرف فيه، وهو يتضمن نفس المعنى الذي يخلعة الانجليز على لقب جنتلمان. المصدر نفسه.

(٣٤) اكمل الدين احسان أوغلي وآخرون، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ج١، مطبعة يلدز، استانبول، ١٩٩٩، ص ٢١.

(٣٥) إبراهيم افندي، مصباح الساري ونزهة القاري، طبعة حجرية، بيروت، ١٨٥٨، ص ١٠٦؛ حسين لبيب ، تاريخ الاتراك العثمانيين، مطبعة الواعظ، القاهرة، ١٩١٧، ص ٤٥؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٥٢-٥٣.

(٣٦) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣٧) إبراهيم افندي، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣٨) حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٤٦.

(٣٩) وهو بدر الدين محمود بن قاضي سماوني ، من المتبحرين في العلوم الدينية، كان قاضي عسكر الأمير موسى ابن بايزيد، واحد أقرباء أمير قرمان، الذي فرضت عليه الاقامة الجبرية في قلعة في أزنيق بعد هزيمة موسى ومقتله على يد محمد جلبي، وفي أزنيق أخذ عدد من طلاب العلم يترددون عليه لشهرته، وبدأ يبث اليهم بتعاليم اشبه ما تكون بالاراء الاشتراكية ، القائمة على اساس المساواة في الأموال والأمتعة، وان جميع الناس اخوة مهما اختلف مذاهبهم واديانهم . للتفاصيل ينظر:
طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥، ص ص ٣٣-٣٤.

(٤٠) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤١) المصدر نفسه؛ علي سلطان ، المصدر السابق، ص ٥١.

(٤٢) إبراهيم افندي، المصدر السابق، ص ١٠٧ ؛ فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٤٣) عمر رضا كحالة، العالم الإسلامي، ج٢، ط٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٨، ص ٢١٢.

(٤٤) نزار قازان، المصدر السابق ، ص ٣٣.

(٤٥) محمد خلوصي الناصري، البيان في تاريخ آل عثمان ، ط١، مطبعة الرياض، بغداد، ١٩١٣، ص ٢٦.

(٤٦) عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ٦٢٤.

(٤٧) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٥٥ ؛ نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٤٨) إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط١، ديوان عموم الأوقاف، (د.م)، ١٩٠٥، ص ٦٠.

(٤٩) رغب السلطان مراد الثاني، بعد ان تنازل عن السلطنة لابنه محمد الثاني ، ان يقضي بقية حياته في عزلة تامة ، يتفرغ في خلوته هذه إلى العبادة والتنسك، متخذاً من مغنيسيا (شمال شرق ايدين) مقراً للخلوة والعبادة. احمد عبد الرحم مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٥٠) ابراهيم بك حليم ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

(٥١) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٥٢) احمد رفيق، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٥٣) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٥٤) نزار قازان ، المصدر السابق ، ص ٣٧.

(٥٥) هامه مر ، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٨.

(٥٦) سورة النساء ، الآية رقم (٩٢).

(٥٧) سورة الانعام، الآية رقم (١٥١).

(٥٨) لقب السلطان محمد بالفاتح ، بعد فتحه لمدينة القسطنطينية التي حاصرها في نيسان من عام ١٤٥٣، بقوات من جهة البر والبحر ، واتم فتحها والسيطرة عليها في ٢٩ آيار ١٤٥٣، وقد سميت اسلامبول أي مدينة السلام ، وجعلها كعاصمة لدولته. للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٥٩-٦٢.

(٥٩) قانونامة ، وهي كلمة غير عربية، ويعتقد انها فارسية أو رومية، وتعني (كتاب الشريعة) أو (كتاب القانون) ، ويشير قانونامه في الاصطلاح العثماني إلى المراسيم التي يصدرها السلطان العثماني، وتحتوي على عبارات قانونية حول موضوع معين.

ويعد السلطان محمد الفاتح أول سلطان عثماني ينشر القوانين المشرعه بشكل رسمي. ويبدو أن هناك مجموعتين من القوانين نامه التي تقترن بأسم السلطان محمد الفاتح، احداهما خاصة بإدارة شؤون الدولة من الحكام، والثانية خاصة بالشؤون العامة التي تخص الرعية وعامة الشعب.

Kanunname Halil Inalcik, the Encyclopeadia of Islam , vol: ١٧, E.J.Brill, Leiden, ١٩٧٥, PP.٥٦٢-٥٦٣.

(٦٠) هاممر ، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٦١) نزار قازان ، المصدر السابق ، ص ٩.

(٦٢) Stanford J. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, volume: ١, Cambridge University press, London , ١٩٧٦, P.٦٧.

(٦٣) عزتلو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان، تقديم : محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص٥٣.

(٦٤) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٦٨ ؛ نزار قازان، المصدر السابق، ص ٤١.

(٦٥) كامل باشا ، تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ، ج١، مطبعة احمد احسان، استانبول ، ١٩٠٩، ص ١١٧.

(٦٦) شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السماحي سويدان، دمشق، ١٩٩٨، ص ١١٥.

(٦٧) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سلمان، مج١، ط١، منشورات مؤسسة الفيصل للتمويل ، استانبول ، ١٩٨٨، ص ١٨٥.

(٦٨) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق ، ص ص ٦٨-٦٩.

(٦٩) نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٤١.

(٧٠) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٧١) عبد العزيز الشناوي، المصدر السابق، ص ص ٦٧٠-٦٧١.

(٧٢) نزار قازان، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٧٣) عبد العزيز الشناوي، المصدر السابق، ص ٦٧١.

(٧٤) ابن إياس ، محمد بن احمد (ت٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج٢، المطبعة الاميرية، مصر ، ١٣١١هـ، ص ٢٠٦.

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧.

(٧٦) يوسف اصاف ، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٧٧) ابراهيم افندي، المصدر السابق ، ص ص ١١٩-١٢٠.

(٧٨) يوسف اصاف ، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٧٩) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٨٠) شكيب ارسلان، المصدر السابق، ص ١١٥ ؛ نزار قازان، المصدر السابق، ص٤٢.

(٨١) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص ١٨٦؛ نزار قازان، المصدر نفسه.

(٨٢) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٨٣) المصدر نفسه، نزار قازان، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٨٤) عباس جعفر أصغر، التطورات السياسية الداخلية في الدولة العثمانية في عهد بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة تكريت ، ٢٠٠٢، ص ٦٢.

(٨٥) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٨٦) حسين لبيب ، تاريخ الاتراك العثمانيين، ج٢، مطبعة الواعظ، مصر، ١٩١٧، ص٣٣.

(٨٧) رزق السلطان بايزيد الثاني بثمانية أبناء، توفي منهم اثنان وهما عبد الله وجهانشاه في عام ١٤٨٣، وتوفي محمد الابن الثالث عام ١٥٠٤ ، اما الرابع وهو محمود فقد توفي عام ١٥٠٧ ، في حين توفي الخامس شاهنشاه في عام ١٥١١.
ينظر : يلماز أوزوتونا، المصدر السابق، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٨٨) عبد العزيز الشناوي ، المصدر السابق، ص ٦٧٧ ؛ كارل بروكلمان ، المصدر السابق، ص ٤٤٥.

(٨٩) Stanford J Shaw, Op. Cit., P.٧٨.

(٩٠) Ibid, P.٧٩.

(٩١) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق،ص ١٨٠ ؛ يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٩٢) روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : بشير السباعي ، ج١، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٠٧.

(٩٣) حسين لبيب ، المصدر السابق، ص ص ٣٤-٣٥.

(٩٤) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط٥، دار المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٩٨.

(٩٥) نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٩٦) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٢.

Edward S. Creasy, Op. Cit, P.١٢٥.

(٩٧) جاسم محمد حسن العدول ، الدولة العثمانية أبان حكم السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٦٨.

(٩٨) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٩٩) تذكر بعض المصادر ان الذين خرج من طاعة السلطان سليم هو علاء الدين ابن احمد وليس احمد. ينظر:

حسين لبيب ، المصدر السابق، ص ٣٧؛ يوسف اصاف، المصدر السابق، ص٥٦.

(١٠٠) حسين لبيب ، المصدر نفسه.

(١٠١) ابراهيم افندي ، المصدر السابق ، ص ١٢٣.

(١٠٢) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(١٠٣) حسين لبيب ، المصدر السابق، ص ٣٧؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٣.

(١٠٤) حسين لبيب ، المصدر السابق، ص ٣٧؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٢.

(١٠٥) روبير مانتران، المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ص٢١٤.

(١٠٦) حسين لبيب ، المصدر السابق، ص ٣٧؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٢.

(١٠٧) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(١٠٨) المصدر نفسه.

(١٠٩) نزار قازان، المصدر السابق، ص ٥١.

(١١٠) اختلف المؤرخون في تحديد اصل هذه السلطانه فمنهم من قال انها ابنة متس أوكراني، ومنهم من قال انها تنتمي إلى البندقية، بل ان البعض ارجعها إلى كونها يهودية الاصل . احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(١١١) المصدر نفسه.

(١١٢) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(١١٣) نزار قازان ، المصدر السابق، ص ٥٢.

(١١٤) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(١١٥) احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ١٠٢.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ١٠٤؛ محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(١١٧) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر نفسه، ص ص ١٤٣ -١٤٤.

(١١٨) للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ١٠٩-١١١.

(١١٩) احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(١٢٠) نزار قازان، المصدر السابق، ص ٥٧.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١٢٢) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١١٧.

(١٢٣) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ص ١٤٨-١٤٩.

(١٢٤) للتفاصيل ينظر محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ١١٧-١١٩.

(١٢٥) احمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(١٢٦) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi III Cit, Ankara, ١٩٥١, P.١٣٢.

(١٢٧) Ibid, PP. ١٣٢-١٣٣.

(١٢٨) محمد فريك بك المحامي ، المصدر السابق، ص ص ١١٨-١١٩.

قائمة المصادر

اولاً: القرآن الكريم:

١- سورة الانعام ، الاية (رقم ١٥١).

٢- سورة النساء ، الآية (رقم ٩٢).

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

١- جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤.

٢- عباس جعفر أصغر، التطورات السياسية الداخلية في الدولة العثمانية في عهد بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت ، ٢٠٠٢.

ثالثاً: المصادر العربية والمترجمة:

١- ابراهيم افندي، مصباح الساري في نزهة القاري، مطبعة حجرية، بيروت، ١٨٥٨.

٢- ابراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط١، ديوان عموم الاوقاف، (د.م)، ١٩٠٥.

٣- أبن أياس، محمد بن احمد (ت٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج٢، المطبعة الاميرية، مصر، ١٣١١هـ.

٤- احمد بن زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج٢، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٨.

٥- احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٨٢.

٦- اكمل الدين احسان اوغلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة : صالح سعداوي، ج١، مطبعة يلدز، استانبول، ١٩٩٩.

٧- برنارد لويس، استانبول وحضارة الامبراطورية العثمانية، ترجمة: سيد رضوان علي، دار الكتب ، بيروت، (د.ت).

٨- حسين لبيب ، تاريخ الاتراك العثمانيين، ج٢، مطبعة الواعظ، مصر، ١٩١٧.
٩- حسين مؤنس، الشرق الاسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٨.
١٠- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة: بشير السباعي، ج١، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣.
١١- زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، بيروت ، ١٩٤٦.
١٢- شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السماحي سويدان، دمشق ، ١٩٩٨.
١٣- طاشكبري زاده، الشقائق العثمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥.
١٤- عبد العزيز افندي آل حلبي ، روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار، بولاق ، القاهرة، ١٨٣٢.
١٥- عبد العزيز محمد الشناوي، اوربا في مطلع العصور الحديثة، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.
١٦- عزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الان ، تقديم : محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.
١٧- علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مكتبة طرابلس، دمشق، ١٩٩١.
١٨- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط٥، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨.
١٩- عمر رضا كحالة ، العالم الإسلامي، ج٢، ط٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٨.
٢٠- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: بثينة امين فارس ومنير البعلبكي ، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧.
٢١- كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧.
٢٢- محمد خلوصي الناصري،البيان في تاريخ آل عثمان، ط١، مطبعة الرياض، بغداد، ١٩١٣.
٢٣- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧.

٢٤- محمد محمد فياض، تيمورلنك ، دار المعارف، القاهرة، ١٨٩٠.
٢٥- نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الانكشارية، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢.
٢٦- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سلمان، مج١، ط١، منشورات مؤسسة الفيصل للتمويل، استانبول ، ١٩٨٨.

رابعاً: المصادر العثمانية:

١- إبراهيم حقي، تاريخ عمومي، جلد ثالث ، قصبار مطبعة سي، استانبول، ١٣٠٦هـ.
٢- احمد رفيق، بيوك تاريخ عمومي بشسؤيتك تكملات مدينة اجتماعية سياسية فكرية، النتجي جلد، استانبول ، ١٣٢٨.
٣- إسماعيل بليغ أفندي البروسي ، كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشواران نادره دان ، خدا وندكار ولايتي ، مطبعة سي، ١٣٠٢هـ.
٤- جوزيف فون هامر، دولت عثماني تاريخي، مترجمي: محمد عطا، ايكنجي – أو جنجي جلد ، ج٣ ، كته ئون بدروسيان، مطبعة سي، استانبول، ١٩١١.
٥- رضا نور ، تورك تاريخي رسملي وخريطلي، ٣ جلد، استانبول، ١٩٢٤.
٦- كامل باشا، تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية، ج١، مطبعة احمد أحسان، استانبول، ١٩٠٩.

خامساً:المصادر التركية:

١-Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi III Cilt, Ankara, ١٩٥١.

سادساً: المصادر الاجنبية:

٢-Edward S.Creasy, History of ottoman Turks, Orientanl Reprints, Beirut, ١٩٦١.
٣-James Poter, Turkey its History and Progess, London, ١٩٥٤.
٤-Stanford J.Shaw, History of ottoman Empire and Modern Turkey, Volume : ١, Cambridge University Press, London, ١٩٧٦.

سابعاً: الموسوعات العربية:

١- احمد الشنتناوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية، مج٩ ، انتشارات جهان، تهران، ١٩٣٣.

ثامناً:الموسوعات الأجنبية

١-Kanunname Halil Inalcik, the Encyclopeadia of islam, vol: ١٧, E.J.Brill, Leiden, ١٩٧٥.